Received: 7/10/2021 Accepted: 15/11/2021 Published: 2021

الجيش الروماني، دوره في تجاوز أزمة القرن الثالث الميلادي

د. نورة مواس
كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر - 2 -
أبو القاسم سعد الله

مستخلص البحث:
شهدت الإمبراطورية الرومانية خلال منتصف القرن الثالث الميلادي، أزمة حادة على مختلف الأصعدة ،أدخلتها في فوضى عارمة، العسكرية على وجه الخصوص ، ما دفع بالأباطرة للمجازفة من خلال ادخال البرابرة في الجيش، وعليه بروز عناصر غير رومانية في المناصب الحساسة التي أثبتوا جدارتهم فيها، ما سمح لهم في الأخير بتقليد مناصب عليا في الإدارة العسكرية .
يروم هذا البحث الى محاولة إلقاء الضوء على الجيش الروماني ودور الهام في حماية حدود الإمبراطورية من الأخطار الخارجية، وضلعه الفعال في درء أزمة القرن الثالث الميلادي ، من خلال التطرق الى بنية الجيش الروماني الجديدة و عدد قواته ، فضلا عن التحصينات العسكرية المختلفة المتخذة من قبل الاباطرة لصد غارات البرابرة المغيرين.

الكلمات الدالة: الجيش ، الرومان ، عدد القوات ،التحصينات ، حماية الحدود.

مقدمة:
استطاعت روما منذ نشأتها عام 753 ق م ، أن تحدد ملامح مملكتها، ومنذ ذلك الوقت وهي تسعى بشتى الطرق إلى إثبات قوتها وتثبيت مكانها بين المدن الإيطالية أولا، ثم بين حواضر العالم القديم ثانيا، فالدراسات الكلاسيكية والمعاصرة حكت لنا أمجاد وبطولات التي وصلت اليها روما بفضل جيوشها التي لولاها لما تمكن الرومان من بسط نفوذهم السياسي على معظم دويلات العالم القديم، وتجاوز الأزمات العديدة التي وجهتها، كل ذلك بفضل جيشها الذي كان رمز قوتها.
ومن هنا فإن تاريخ روما العسكري يطرح إشكالات كثيرة، ولتتبعها من طبيعة هذا النظام والتركيبة البنيوية له، وخصوصا في العهد الامبراطوري الثاني (284 - 395 م)الذي جمع مزيجا من الشعوب والأعراق انخرط معظمها في تكوين جيش روما، وعليه تمحورت إشكالية البحث حول دور هذه المؤسسة العسكرة في تجاوز مرحلة الفوضى العسكرية مثيرا العديد من التساؤلات التي يمكن أن نذكر منها ما يأتي:
- ماهي أهم التغيرات التي طرأت على مؤسسة الجيش بداية من القرن الثالث الميلادي؟
-ماهي الأسس التي ارتكزت عليها روما للتوفيق بين جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة ؟
- ماهي أهم التحصينات التي عمد اليها الأباطرة الرومان لدرء الأخطار المحدقة بالإمبراطورية الرومانية؟

الهدف من البحث:
ان الهدف الذي يكمن من وراء هذا البحث، توضيح تركيبة الجيش الروماني في القرن الثالث الميلادي، من خلال القاء الضوء على عدد القوات التي سجلتها المؤسسة العسكرية ، مع ابراز أهم التحصينات العسكرية المتخذة من قبل الأباطرة لصد غارات البرابرة.

منهجية البحث:

أما المنهج المعتمد في هذا البحث فكان المنهج السردي التاريخي، الذي تم توظيفه في المنهج التحليلي القائم على تحليل وتفسير الحقائق التاريخية ، بما يتماشى ووفق متطلبات البحث العلمي التاريخي حيث تم الاعتماد على مجموعة من المراجع الأجنبية والعربية التي لها صلة بهذا البحث منها: تشالز ورث ، الإمبراطورية الرومانية

Frank R.I. (1969),The Palace guards of later Roman Empire

Rémy(B.), Betrandy(F.), L'Empire romain de Pertinax à Constantin

1- بنية الجيش الروماني:

كان الجيش الروماني انطلاقا من القرن الثالث الميلادي جيشا محترفا، يتكون أساسا من مجموعات صغيرة من الشعوب الحليفة، التي كانت تمون الجيش الامبراطوري بالفتيان احتراما للاتفاقيات المبرمة، الا أنهم لا يعتبرون من الجيش الامبراطوري الروماني، ذلك لأن هذا الأخير كان يتكون من:

1- 1 الحرس الامبراطوري:

يحوي فرق مساعدة ،بالإضافة الى الكتائب العشرة للخيالة، التي تتكون كل واحدة منها ما بين 1000 و 1500 جندي نخبوي ، و منهم فئة قليلة مجهزة[1]، وكانت مهمة هذا الحرس مرافقة الامبراطور والحفاظ على حياته في أوقات السلم والحرب لذلك ومن دون شك شكلت هذه الوحدات صفوة الجنود في الجيش الروماني ، وكانت تمثل حرس الشرف الملازم للإمبراطور، لذلك روعي في اختيار جنودها قوتهم وولائهم للإمبراطور داخل روما وخارجها [2].

شكل الحرس الامبراطوري جزءا هاما من الجيش الامبراطوري الروماني ، وغالبا ما كان الاباطرة يعتمدون عليهم في حملاتهم العسكرية، لذلك كان تشكيل الحرس الامبراطوري في الحملات العسكرية مساويا لأي تشكيل في الجيش ، ففي القرن الثالث الميلادي ساند الحرس الامبراطوري الأباطرة في حملات عديدة ، مثل مشاركتهم في حملة الامبراطور أوريليان (270 - 275م) لإخضاع تدمر [3] .

1 - 2 الفرق (Legions):

احتلت الفرقة الرومانية المنزلة الأسمى في الجيش الروماني الإمبراطوري، لذلك كان يتم تجنيد أفرادها في بداية العصر الامبراطوري من سكان ايطاليا ، الذين يتمتعون بحقوق المواطنة عن طريق التطوع الاختياري على نقيض ما كان يحدث في العصر الجمهوري [4]، ومع الوقت أصبح في الجيش الروماني مرتزقة ، الذين كان عددهم يتراوح ما بين 35 و170فرقة، وفي كل فرقة 6000 جندي ، كل فرقة منقسمة الى 10 كتائب، مشاة ، الكتيبة الاولى عددهم حوالي 1105 جنود أما التسع(9) الباقية تتكون من 555 جندي ،و لكل فرقة آلات رمي ورماح ذات حجم كبير و أخرى لرمي الحجارة [5].وبالإضافة الى ادخال البرابرة [6] في الجيش الروماني ،لا نغفل عن ذكر الفرق المكونة من رومان أصليين ،التي كان لها دور أساسي في الجيش الامبراطوري كذلك ، والفرق المساعدة التي كانت تكون وحدات صغيرة مقارنة بالفرق المكونة من 480 جنديا، حيث نجد عددا كبيرا من الكتائب المساعدة من المشاة ، في حين الاجنحة كانت تتكون حصريا من الفرسان [7] .

فالمؤرخ فرنك (Frank) يؤكد لنا أن الامبراطور قسطنطين(306 - 337م) مثلا ، شجع دخول الجرمان الى الجيش الروماني وخصص لهم الترقية في الرتب العليا ،حتى وصل بعضهم الى أعلاها ، فصاروا على رأس قائمة المتحكمين في الإمبراطورية الرومانية ، كما أنه في عام 312م قرر قسطنطين انشاء حرس خاص لحمايته من خيرة المقاتلين الجرمان[8] أطلق عليهم "مريدى القصر"

(Scholae Palatinae)عوض الحرس البريتوري السابق. لذلك برزت أهم التغيرات التي عرفتها المؤسسة العسكرية في هذه المرحلة في التغير الحاصل على تنظيم قيادة القوات كالإشراف على البريد الامبراطوري وإدارته والاشراف على مشروعات التعمير فضلا عن إقامة الاستحكامات العسكرية ، وتموين الجنود في الخطوط الأمامية ، وهي السلطة العسكرية التي كانت مانعا ضد طموح القادة في السيطرة على مراكز القيادة ، واستخدامها لأغراضهم السياسية [9].

فمن المراكز القوية الجديدة التي استحدثت في الجيش خلال العهد الامبراطوري الثاني(284 - 395 م)، منصب " رئيس المكاتب" الذي زادت مسؤولياته بعد عام 320م ليصبح مشرفا عاما على جميع أقسام الشؤون الادارية والتنفيذية وعضوا دائما في الهيئة التنفيذية العليا أو ما يعرف بالمجلس المقدس (Saerum Constorium)[10] ، و كانت مهامه متنوعة ، فهو مفوض من الحكومة التي تدير سياسة الدولة وعلاقتها الخارجية والمسؤول الاول عن مراسيم الدولة ومسؤول التشريفات والإشراف العام على إدارة المراسلات والبريد بالإضافة الى كونه مسؤولا عن مصانع السلاح [11].

1 - 3 الوحدات المساعدة (auxilia)

تمثلت في قوات عسكرية مرابطة على الحدود ، وقوتين متحركتين[12]، الأولى من صنف البرابرة ، تهتم بالأرض وتستغلها ، وكان الابن فيها ملزما أن يأخذ مكان والده ، أما الصنف الأخر ، فكان تحت تصرف الإمبراطور، الاولى تدعى "جماعة الرفقاء" والثانية "جماعة البلاط "، وكان هنالك نوعان من الفرسان : نوع خفيف ونوع ثقيل، وكان الاول قديما يعود الفضل في انشائه الى الامبراطور جالينوس(253- 260م)، الذي ألحق بالفرقة المجندة من المواطنين الرومان جماعة من الفرسان جنَد أفرادها من حلفاء روما، ولذا أطلق عليهم اسم فرسان الحلفاء، و النوع الثاني أحدث عهدا من الاول وأثقل سلاحا ، ويدعي المدرع و معظم أفراده من البرابرة من وراء الحدود [13].

لقد بنيت الامبراطورية الرومانية(أنظر الخريطة أدناه) خلال العهد الامبراطوري الثاني (284 - 395 م) ، وأمنت حدودها بفضل كتائبها وسياستها العسكرية أساس قوة الكتائب، وهو ما برز في تاريخ الجيش الروماني في الآونة الأخيرة من أدواره، اذ أخذ سلاح الفرسان يتفوق بالتدريج على فرق المشاة الباقية التي أخذت مكانة ثانوية، إذ كانت تلحق بالفرقة المجندة من المواطنين وهم في الأصل جماعة من الفرسان يجند أفرادها من حلفاء الرومان ، والهدف من نشأتها ، ادراك الحاجة الى مثل هذه الفرق المتنقلة خاصة وأنها وحدات مساعدة منفصلة ومستقلة عن الأولى[14] .

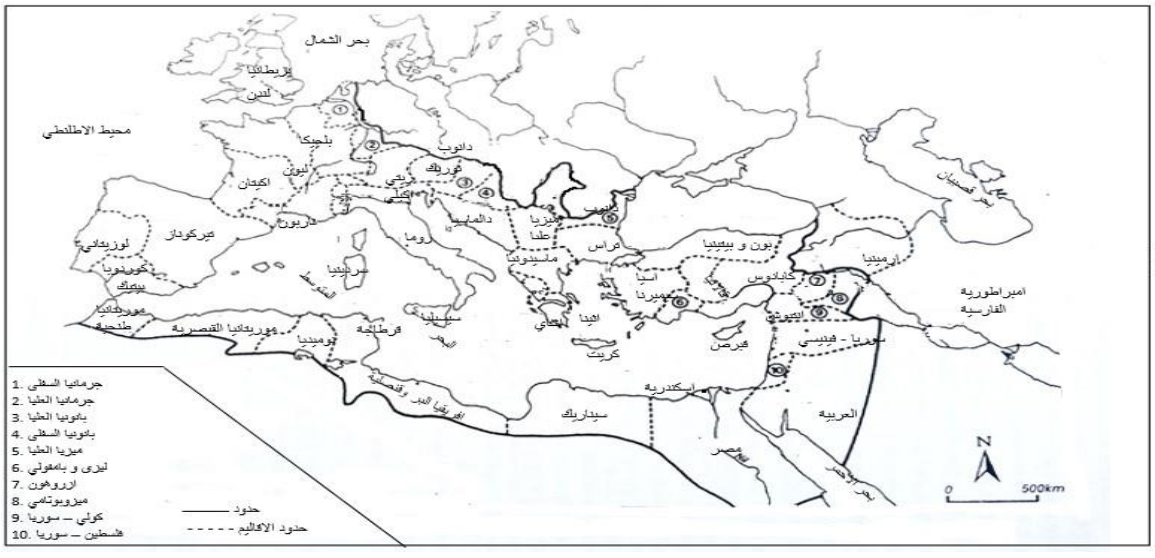

الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي نقلا عن :
Rémy(B.), Betrandy(F.), L'Empire romain de Pertinax à Constantin

وبالإضافة الى قوة القرسان الجديدة المتحصنة بدروع على نهج النظام الفارسي المسماة " كاتافراكتي (Cataphracti)" ، التي استخدمت في معركة دارت بين الامبراطور قنسطنطينوس ومنافسه الامبراطور ماجنتيوس ، تجلت أهمية الفرسان في الحروب مع فارس في القرن الرابع الميلادي ،وهو ما يؤكد أهمية هذا السلاح [15]. ومن خلال دراسة كل من ريمي برنار .Rémy B) (, و بترندي (Betrandy)المهتمة بموضوع الدراسة تبين لنا أن النظام الذي أدخله أبرز أباطرة العهد الامبراطوري الثاني (284 - 395 م) كديوقليسيانوس(284- 305م) و قنسطنطينوس(306 - 337م) على الجيش، يقوم على فصل السلطتين المدنية والعسكرية ، حيث مكنهما من اعداد العدة للدفاع عن الحدود بقوة متنقلة يمكنها أن تتوجه لنجدة أية مقاطعة يهددها خطر الغزو ، وتجسد ذلك بعد ادخال الحرس الجديد المعروف بـ (Comitatenses) [16] في الجيش الروماني التي أصبحت تلعب دورا في هذا الجانب[17].

2- عدد قوات الجيش:

كان زيادة عدد القوات يبدوا ضروريا أمام اتساع الإمبراطورية الرومانية وتزايد الأخطار المهددة لها، فقد أكد المؤرخ لاكتانس (Lactance) تلك الزيادة حينما أشار الى تضاعف عدد القوات في عهد الامبراطور ديوقليسيانوس(284 - 305م) لأربع مرات ، فإذا نرى في نص لاكتانس مبالغة فيمكننا القول أن عدد القوات تضاعف كأقصى حد، بينما يرى أخرون أن الزيادة لم تتجاوز الربع[18] ، فالعدد الذي كان لا يتجاوز 3000000 ارتفع الى حوالي 5000000 مقاتل كأقصى حد ، وهكذا نلاحظ تجنيد فرق جديدة لكن بأقل عدد من الرجال حوالى 100 أو 150 مقاتل فقط عكس ما كان عليه الأمر في أواخر الجمهورية وأوائل العهد الامبراطوري الاول أكثر من 4000 مقاتل في الفرقة الواحدة [19]. إن الهدف من وراء مضاعفة عدد أفراد الجيش حسب بعض الدراسات ، هو أن كل إمبراطور كان يسعى الى أن يكون له جيش أكبر من جيش الاباطرة الذين سبقوه ، لاستكمال مشارعه و خططه الحربية لتقوية دفاعات الحدود[20] ، و يمكن الاستدلال على ذلك برقم مؤكد معطى لحقبة زمنية لا يمكن تحديدها في عهد الرباعية و هو 389704 جنود و 45562 رجلا للبحرية الحربية[21]

والمؤرخ ريموندو(Remondon) يؤكد لنا في الموضوع زيادة عدد فرق الجيش فعلا من تسع وثلاثين (39) فرقة الى حوالى مائة وخمس وسبعون (175) فرقة[22]، وهو ما يعني أقل من ضعف عدد الفرق فضلا عن تراجع عدد الجنود في الفرقة الواحدة مع ملاحظة تزايد عدد الفرسان الذين أخذوا مكانة هامة الى جانب الوحدات الجديدة التي تم تجنيدها لتدعيم الحدود، فحصلت كل مقاطعة على فرقتين وفرق مساعدة [23].

3- أهم التغيرات الطارئة على الجيش بعد القرن الثالث :

أعطى الإمبراطور قنسطنطينوس الأولوية للفرق الداخلية، و يمكن رد هذا الاختيار التكتيكي، الى الظروف التي قابلته في حملته سنة 312 م على ماكسان (maxene)، حين كان بحاجة الى حملة عسكرية هامة ، و لتقوية هذا الجيش الجديد ولنجاح حملاته، قام بتجنيدات جديدة وانشاء وحدات أخرى، و تحويل جزء من جنود الفرق و جيش الحدود الى الداخل [24] ، ويظهر لنا ذلك جليا من خلال التباين الرسمي في السلم التنظيمي بين المدافعين المستقرين على ضفاف الأنهار والجيش الحدودي والداخلي لأول مرة في مرسوم 17 جوان 325م [25].

و لذلك أصبح الجيش الروماني متكونا من عدة فرق متوقفة في أهم الادارات المركزية والعسكرية للإمبراطورية أو في اقامات مؤقتة ليست بعيدة عن الحدود ، ثم أصبحت المهمة والاكثر فعالية ، و

ذلك لاهتمام الأباطرة بتجنيد قوتها و تدريب جنودها من البرابرة الذين استطاعوا أن يشغلوا مناصب مهمة، ومن هؤلاء " فرنك بونيتوس" (franc bonitus) ما يدل على التطور الحاسم في استعمال البرابرة في الجيش في العهد الامبراطوري الثاني(285 - 395 م) [26] ، وهو ما تجلى كذلك في عهد الإمبراطور قنسطنطينوس الذي عمد الى نزع القيادة العسكرية من الحكام و أنشأ صنفا جديدا رفيعا من الضباط البرابرة مثل "قادة المشاة" و "قادة الفرسان" التابعين الى الامبراطور [27].

أما بخصوص الحراس الشخصيين المعينين لحماية الامبراطور فقد تم تحويلهم الى قادة للميليشيات، فأصبحوا في العهد الامبراطوري الثاني يشكلون فيلقا من ضباط الحراسة الامبراطورية، يقودها "كونت" و بما أن عدد الحراس السامين كان لا يكفي لحماية كل مراكز القيادة ، تم انتدابهم الى مراكز قيادة المليشيات، وأعلى رتبة لها كانت برتبة " دوق "يمتلكون في نفس الوقت سلطة وامتيازات هامة أصبحت دائمة[28].

3- 1 استراتجية الدفاع :

لدرء الأخطار المحدقة بالإمبراطورية الرومانية اتخذ الأباطرة أساليب مختلفة منها:

- تحصين الحدود :

كان انشغال الأباطرة الرومان منصبا على ضمان الدفاع عن حدود الامبراطورية في أحسن الظروف، فبدأوا بتدعيم خط "الليمس " [29] حتى تكون الامبراطورية في مأمن عن الغزوات(أنظر الخريطة أدناه) واعتزموا جعل الجيش الأداة الجديرة بالدفاع عن الامبراطورية وحدودها ضد أعدائها ، ويتضح ذلك في الحرص على التمسك بفكرة خطوط الدفاع على الحدود ، حيث تم بناء العديد من القلاع والتحصينات والمواقع الدفاعية المنيعة حيث ترابط الحاميات بصفة دائمة، كما شقت الطرق الضخمة التي تسمح للجند بالتحرك السريع [30].

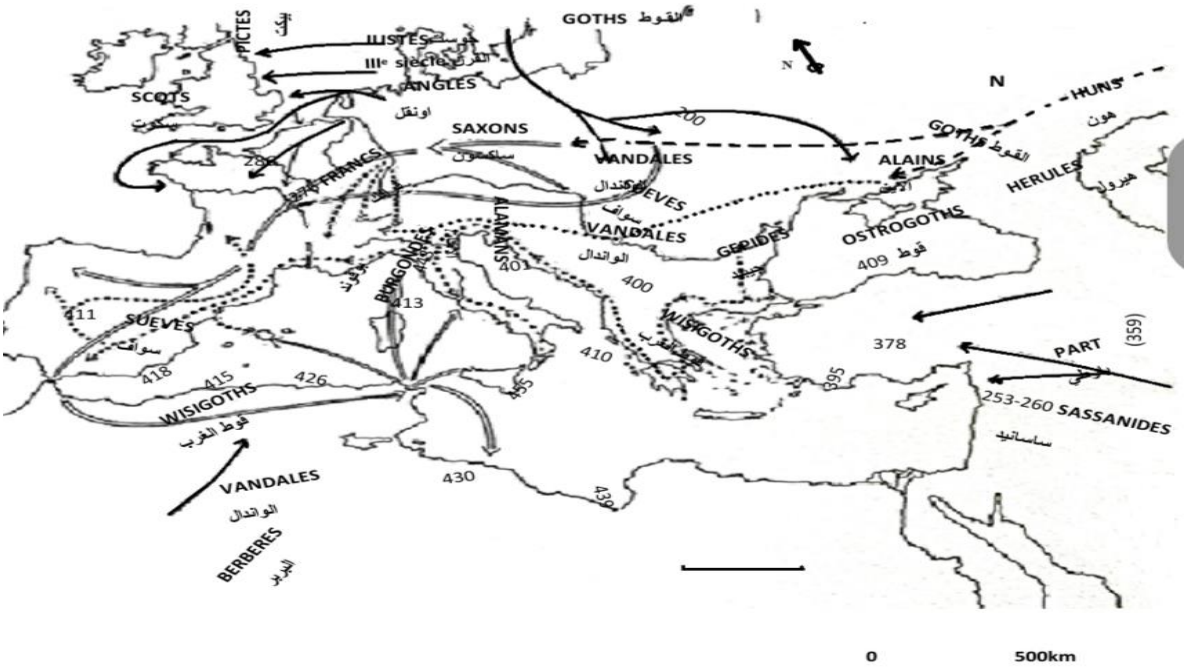

طرق الاستعمارات نقلا عن :

Baya (J.) ;Thouvenot(R.),Histoire romane ,345

بالرغم من أن الفرق العسكرية أنداك تشتمل أعداد متباينة من الفرق المشكلة من الجرمان في أوروبا وكذا البربر في إفريقية والعرب في سوريا ، الا أن الغالبية العظمى تألفت من المواطن الروماني المتمتعين بحقوق المواطنة الرومانية كاملة وحرصا على درء الاخطار الخارجية لسلامة الحدود، استلزم الأمر زيادة أعداد الجيش لذلك أصدرت أوامر بجعل الخدمة في الجيش الزامية كما سمح لأول مرة لأبناء الجنود والمحاربين القدماء والمتطوعين بالانخراط في سلك الجيش لضمان سلامة الحدود[31].لذلك كانت الحدود مجسدة في طريق عسكري يعرف " بالليمس " وهو المزود بالحصون والمعسكرات تتباعد مسافة مسار يوم واحد [32] ، كما تقام في بعض الأحيان مثل تلك التحصينات من التراب والغابات التي تحاذي مجرى الأعلى للراين والدانوب أو مثل سور الامبراطور هادريانوس المبنى بالحجارة في شمال بريطانيا[33]. ولكي يضمن الأباطرة تحصين الحدود كذلك ، تم تنظيم أفضل الوحدات من الفرسان المشاة في قوة ضاربة جديدة تنقسم بدورها الى كتائب حراسة (palatini)قريبة من إقامة الإمبراطور والى وحدات الداخل المعروفة بـ(comitatanses) من بين البرابرة ، وكان للفرسان في كل منهما مركز الصدارة، أما قوات الحدود (limitanei) فقد أصبحت قوات مشاة محلية من الحرس الوطني يختار جنودها من بين أبناء المقاطعة التي يعملون فيها ، ولم تكن لهذه القوات أية أهمية عسكرية تتعدى كونها سياجا دفاعيا أماميا[34].يذكر تشارلز ورث أن قوات الفرق والقوات المساعدة وزعت لصد خطر البرابرة الفرثيين والجرمانيين، اذ كانت حوالى تسع فرق لحراسة الراين وسبع تحمي خط الدانوب وأربع فرق ترابط عند دجلة والفرات وثلاث في بريطانيا وأربع في سوريا في حين افريقيا ودالماسيا واسبانيا لم تكن بحاجة لأكثر من فرقة واحدة، ولكن مع زيادة خطر البرابرة والتجارب المريرة التي صدفتها، كان لابد الى جيش من طراز جديد لذلك هدفت إصلاحات ديوقليسيانوس [35] والأباطرة اللاحقين الى تكوين قلب للجيش سهل الحركة واعداد جيوش للولايات تعسكر في مدن محصنة لحماية حدودها [36].لذلك استدعى الخطر الخارجي (غزوات البرابرة)المحدق بالإمبراطورية ، تحصينات إضافية ، وذلك بزيادة القلاع على الشاطئ الساكسوني فيما حول الشاطئ الجنوبي الشرقي لانجلترا وأصبح يمتد من " واش" (Wach) الى جزيرة "وايت"(Wight) ومن دنكرك(dunkirk) الى شبه جزيرة" كوتنتين" (Cotentin) إلى ما وراءها ، فمن المؤكد أن وحدات الأسطول كانت تتخذ هذه القلاع قواعد لها ، وهو ما نجده لاحقا قاعدة لتموين الاسطول بالقرب من ليدني (Lydnay) على نهر "سيفرن" (severes) ويرجح أن بعض سفنه ترابط على طول حدود شاطئ ويلز الشمالية لصد هجومات القراصنة الايرلنديين ، ومختلف الأخطار التي كانت تهددها[37].

3 ـ 2 أساليب أخرى للدفاع :

استوجب صد غزوات البرابرة أساليب جديدة للدفاع وابتكار أسلحة متطورة وجمع مزيد من القوات، ولم تكن روما لتأبى قط الأخذ بأساليب أعدائها والاستفادة من خبراتهم، فلقد ولت العهود الخوالي التي كان في استطاعة الجيوش الدائمة أن تواجه فيها شتى المواقف ،وأصبح لزاما على المدافعين عن حدود الامبراطورية أن يكونوا على أهبة الاستعداد ، وعلى ذلك فإن النظام الذي اصطنعه أباطرة القرن الثالث يقوم على أساس إنشاء عدد كبير من القلاع والمواقع الدفاعية المنيعة ، حيث ترابط الحاميات بصفة دائمة، بينما يقف جيش أو أكثر من الجيوش السريعة الحركة تحت قيادة واحد من الاباطرة الاربعة مستعدة للاندفاع بالإمدادات الى أية نقطة مهددة بالخطر[38].

هكذا، تمكن الرومان، من إيجاد أساليب دفاع جديدة ضد غارات الفرثيين، فقاموا باتخاذ اجراءات عسكرية هامة ، كإصلاح قلاع الحدود القديمة ، وتشييد قلاع جديدة، بالإضافة الى حشد فرقة عسكرية أخرى للدفاع عن الامبراطورية وحماية سلطتها من الطغاة المغتصبين وهي التي عرفت باسم قوات رفاق الامبراطور أو الحرس الخاص، كما قاموا بتوزيع الأراضي الواقعة عند الحدود على حرس الحدود لزراعتها مقابل الخدمة الحربية والدفاع عن حدودها ، الا أن هذه الاجراءات غير كافية لمواجهة تلك الغارات، فعمد أغلب الأباطرة الى تجهيز جيوش ميدانية خفيفة متحركة وهي التي عرفت بحملة العلم(Vexillationes) ، ترابط في قلب المقاطعات وفي المدن الهامة ومنها تنتقل الى ميادين القتال ،وأخذت مكان الفرقة القديمة الثقيلة (Legio)وكان مركز هذه الجيوش وسط البلقان وآسيا الصغرى، كما أضيفت قوات جديدة الى تلك القوات التي تصاحب الامبراطور لحمايته من الخطر[39].وفي الموضوع ذاته يذهب تشالز ورث الى أن الحاجة لصد الغارات، هي التي أدت الى توفير قدر أكبر من خفة الحركة والى طائفة أكبر من القوات المدربة على أنواع معينة من الأسلحة، والى مزيد من الرماة السهام والرماح والمشاة الراكبة ،كما أخذوا عن الفرثيين إحدى المستحدثات البارزة أي سلاح الفرسان المدرعة (Cataphracts) سمي هكذا لأن كلا من الفارس وجواده كان يحتمي بالسلاسل الواقية، التي كانت تغطيهما تماما، الا ان افتقار الاباطرة للرجال اضطرهم لاستئجار وتجنيد قوات من البرابرة بأعداد متزايدة ومع هذا الجيش الجديد والاساليب المستحدثة حلت ألقاب جديدة مثل الدوق (dux) محل الفرق والكتائب وقادة الفرق، واستطاعت بذلك أن تدافع عن حدود الامبراطورية وتصونها من الأخطار الخارجية[40] .

4- النتائج والأثار المتولدة لدور الجيش الروماني :

أصبحت حدود الإمبراطورية الرومانية بعد تلك التحصينات السابقة عبارة عن سلسلة متصلة من المواقع الصغيرة المنيعة بسبب أهميتها، فاستطاعت التغلب على التفوق العددي للبرابرة المغيرين على حدود الإمبراطورية، مما أدى الى تزويد القلاع بالفرسان والرماة الراكبين لمناوشة العدو، وهتك صفوفه، كما تقرر كذلك استخدام الفرق على نطاق واسع ، فعقد الامبراطور ديوقليسيانوس وخلفاؤه من بعده العزم على الوقوف في وجه حشد من المغيرين من جميع النواحي ، فاستطاعوا بفضل التنظيم السديد سد هجماتهم من البحر والبر ، حيث لجؤوا الى تكوين تشكيلات جديدة، واتخاذ معدات مستحدثة ، واستخدام آخر ما وصلت اليه أسلحة المدفعية وتعديل جبهات الحدود ،وإقامة قلاع جديدة أو استصلاح حصون قديمة فنجحوا في رد أعدائهم[41].لذلك اعتبر المؤرخ لاكتانس (Lactance) أن الامبراطور ديوقليسيانوس مثلا كانت له رغبة في التشييد لم يستطع اشباعها ، حيث أنه بالفعل شيد بناءات مدنية عديدة ، أهمها كانت في نيقومينيا (nicomedie)(الأناضول) و في صالون) (salone، و ذلك بتكريس الكثير من الوقت و المال لتقوية المدن الداخلية كذلك، و بدرجة أكبر تجديد و تقوية الحدود ، لأن اجتياحات القرن الثالث الميلادي ،أظهرت نوعا ما ضعف المنظومة الدفاعية الخطوطية السابقة على صد المحتلين الجدد، والتي تعود الى الإمبراطورية العليا، فلذلك بادر بأعمال التقوية الحدودية التي تواصلت في الحكم الرباعي بطريقة كثيفة ومحكمة[42]، حيث أنشئت طرق بكيفية تنظيمية في حدود الألب الشرقية ، مزودة بنظام من الحصون ، والأسوار، تعلوها مراكز دفاعية ، ونفس التنظيم طبق في افريقيا الشمالية ، وفي الحدود الصحراوية للأوراس أين تم انشاء حصون أخرى، و كذلك في أعالي النيل ،و على ضفاف نهر الرين وفي الدانوب حيث نجد نفس تقنيات المنظومة الدفاعية ، مما يبين لنا الرغبة السياسية المؤكدة [43] .

لذلك يظهر لنا جليا أن الاستراتيجية الدفاعية التي عمد اليها أباطرة العهد الامبراطوري الثاني 284-395م)على كل الجبهات هي نفس تقنيات البناء و نفس الكيفيات و التقويات الخطوط

الدفاعية الأرضية، في الحدود الجرمانية "للراين الأعلى" (rhin supérieure)و " بحيرة كونستونس " (lac de constance) وفي بال (bale) ، حيث تم وضع تقويات جديدة معمقة مع تنظيم جديد للحصون و الطرق ، و مع هذا فان عددا من الكتاب مثل (ch. R. whittaker) انتقدوا هذا التنظيم الذي يسمى الدفاع من العمق و اعتبروه لم يأت بأي جديد في الاستراتيجية الدفاعية، الا أنه مهما يكن فان استراتيجية مراقبة كبار الانهار تم تحسينها ببناء على ضفتها حصون متواصلة بجسور تربط فيما بينها [44]. ولما كانت دفاعات الحدود المحور الاساسي لاستراتيجية أباطرة أوائل العهد الامبراطوري الثاني، لصد غارات البرابرة أولا و لتجاوز أزمة القرن الثالث ثانيا، والتي تبين أنها لا تختلف كثيرا على منهجية عهد الامبراطورية العليا، فالفرق المتوقفة على الحدود ساهمت بالجزء الاكبر في الحروب المختلفة للرباعية، إذ لم يستهن الأباطرة بجيش المناورات الداخلي الذي تم تنظيمه وتوزيعه تحسبا لأي محاولة تطاول ، و هذا كوسيلة أكثر من استراتيجية، فكانت المهمة الأساسية لهذا الجيش حماية حدود الإمبراطورية وتجاوز مرحلة الفوضى العسكرية.

الخاتمة :

من خلا دراسة موضوع الجيش الروماني، ودوره في تجاوز أزمة القرن الثالث الميلادي، توصلنا الى مجموعة من النتائج منها:

ـ تميز الجيش الروماني عن أعدائه بتطويره نظام إمدادات لوجيستي معقد ومنظم في آن واحد ، بالإضافة الى نظام داخلي بالغ الدقة اذ كانت هناك شروط جسدية وأخلاقية لا بد أن تتوفر في المتطوعين ، فكان ذلك النظام يجمع بين الترهيب والترغيب وينظم العلاقة بين ضباط الجيش وجنود أقسام الجيش، ما ساعد الإمبراطورية في انتصاراتها .

-ساهمت الامتيازات التي حصل عليها الجنود كالمكافآت بعد تسريحهم في ضمان استمرار الشبان بالتطوع في هذا الجيش وبالتالي زيادة عدد القوات، الأمر الذي ساعد على تحول الجيش الى جيش محترف في بداية الفترة الإمبراطورية ، فاستطاعت الإمبراطورية الرومانية تحقيق النصر الحاسم على أعداءها وتجاوز مرحلة الفوضى العسكرية .

ـ لعبت الخطوط الدفاعية (الليمس) عبر مختلف مراحلها دورا كبيرا في المجال العسكري الذي لم يقتصر عليه بل تعدته الى الجانب الاقتصادي وحتى الاجتماعي ،لذلك عمد أغلب الاباطرة الى ابتكار أساليب دفاع جديدة ضد غزوات البرابرة فقاموا باتخاذ اجراءات عسكرية هامة، كإصلاح قلاع الحدود القديمة، وتشيد قلاعا جديدة بالإضافة الى حشد فرقة عسكرية للدفاع عن الامبراطورية وحماية سلطتها من الطغاة المغتصبين .

قائمة الهوامش:

[1] Stein(Ernest), Histoire de Bas-Empire ,T.1 ,Dem'ETA romain à l'Eta Byzantin 284-476,Revue des études byzantin,paris 1960 ,p.55

[2] تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، الهيئة المصرية العامة ،مصر 1999 ، ص42

[3] Stein(Ernest), Op.Cit,p.56

[4] تشارلز ورث ، المرجع السابق ، س52

[5] Frank(R.I.),The Palace guards of later Roman Empire ,(papers and monographs of the American Academy in Rome ,Vol .23,(Rome,1969),p.16.

[6]البرابرة :استخدم الاغريق لفظ البرابرة للإشارة الى الثقافات الأجنبية التي التقوا بها ،ومن الشعوب التي اطلقوا عليها هذه التسمية الفينيقيون والفرس والترك ، أما الرومان فكانوا يطلقونها على القبائل الجرمانية وغيرها للمزيد أنظر.190. Rémy(B.), Betrandy(F.),Op.Cit ,p :

[7] Stein(E.),Op.Cit,pp.55-56

[8] Frank(R.I.),Op.Cit ,p.16

[9] Seston(W.) Dioclétien et la tétrarchie ,(Guerres et réformes 284-300),t.I, éd. De Boccard ,(paris 1946). ,pp.289-303 ,pp.289-303

[10] Seston(W.) ,Op.Cit ,pp.289-303

[11] Baya (J.) ;Thouvenot(R.),Histoire romane ,publié sous la direction de CH.GUIGNBERT ,(paris 1925) ,p.383 .

[12]أسد (رستم) ،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،(بيروت 1955)،ج1، ص ص68 - 69.

[13]أسد (رستم)، المرجع السابق، ص ص68 - 69

[14]بينز(نورمان) ،الامبراطورية البيزنطية ،تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة 1990 . ،ص167

[15] Camoron(Averil, ,The Later Roman Empire 284-430 ,A.D. , Fontana Press, (London.1993).,p.33; R.I.(Frank),Op.Cit ,p.16,p.33; R.I.(Frank),Op.Cit ,p.16.

[16]الكوميتاتنس:(comitatenses)هم جماعة رفقاء الامبراطور (من الوحدات المساعدة)، يلحقون بحاشية الامبراطور غالبا ، ظهر جنود الكوميتاتنس لأول مرة سنة 311 م، مما يعني أنهم ظهروا قبل حكم الامبراطور قنسطنطينوس أنظر192. Rémy(B.), Betrandy(F.)Op.Cit,p :

[17] Rémy(B.), Betrandy(F.), L'Empire romain de Pertinax à Constantin , (192 -337 après J.c) ,aspects politiques ,administratifs et religieux, 2ed ,(paris 1997) ,192; R.I.(Frank),Op.Cit ,p.16-17

[18] Seston(W.) , Op.Cit,p.289-303

[19] Chastagnol(A.),L'évolution politique, Sociale et économique du monde romain de Dioclétien à julien ,pp.349-350)

[20] Zosime, Histoire nouvelle ,Ed. et trad. De Fr . Paschoud ,3 tomes en 5 vol.,paris ,les Belles Lettres ,1971- 1989. , 2,34)

[21] lydus(jean),Les Magistrats de Rome ,3 Livre,Ed.de Wunch , Leipzig,teubner,1903),1,27

[22]André Piganiol,L'emper Chrétien(325-395),Presses Universitaires de France ,(paris 1973), ,p.267-268

[23] Remondor(R.) , La crise de L'empire romain ,du marc Aurel,à Anastase ,éd . P.U.F.,(paris,1964),p 128

[24] Zosime ,Op.Cit,, 2,34)

[25] Carrié (J-M.), «Dioclétien et la fiscalité», Antiquité Tardive,2,(1994) , p. 128
[26] Carrie(.J.M.), Op.Cit, p. 125.
[27] Stien.(Ernest),Op.Cit,122 ; Van Berchem(Denis.),Op.Cit,p.109.
[28] (Stien(Ernest),Op.Cit,p.122-123.

[29]الليمس: كان الهدف من إقامة الليمس هو الحد من تحرك وتنقل القبائل الرعوية وحماية أراضي المستوطنين الرومان وتوسيع المستوطنات بالاستحواذ على مزيد من الأراضي مع إقامة شبكة من الطرق لتسهيل عمليات تنقل الجيوش لوقف كل تمرد أو ثورة من ناحية وتسهيل التبادلات التجارية ، ونفل البضائع من مناطق الإنتاج الى موانئ التصدير من ناحية أخرى وللمس ثلاثة أدوار دور عسكري باعتباره جهازا دفاعيا ودور اقتصادي باعتباره سوقا للتبادل بين التجار الرومان والأمازيغ تحت رقابة الجيش ودور ترابي للمزيد أنظر ،نورة مواس ، السيفيريون وبلاد المغرب القديم (193-235م) مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 19، جامعة أبو القاسم سعد الله ،الجزائر 2،ديسمبر 2015، ص 58.

[30] Remy(Bernard), Bertrandy(Francois), Op.Cit,p.185-186.
[31] petit (Paul), Histoire Générale de l'empire romain ,Le Bas-Empire (284-395),T.3,éd. Du Seuil,(paris ,1974) ,p.23.
[32]تشالز ورث ، الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، الهيئة المصرية العامة ،مصر 1999 ، ص44
[33] L'empire chrétien 284 – 610 AP –Jc,p268
[34] L'empire chrétien , Op.Cit,p268

[35]إصلاحات ديوقليسيانوس: شملت اصلاحاته مختلف المجالات ،الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فضلا عن العسكرية، كتوزيع أغلب الفرق على حدود الإمبراطورية ، و بداية من سنة 297م انشأ جيوش المرافقة المتنقلة المسماة بوحدات الداخل (comitatenses) التي تضم وحدات من المشاة و فيها قرابة خمسمائة (500)رجل ، أصبحت في عهد الامبراطور (قنسطنطينوس) هذه الوحدات تحمل لوحدها اسم وحدات مساعدة (auxilia)للمزيد أنظر، Bayaet(J.) et Thouvenot(R.),Op.Cit ,p. 382(3.
[36]تشالز (ورث) ،المرجع السابق ،ص46.
[37] (Aurélius(Victore) ,Un livre des Césares d'Aguste à Constance II,Ed.et trad. De P.Dufraigne ,CUF ,paris ,les Belles Lettres 1975. ,39,40-41
[38] Remy(Bernard), Bertrandy(Francois), Op.Cit,p.188
[39] Remy(Bernard), Bertrandy(Francois), Op.Cit,pp.188-189
[40]تشالز(ورث)، المرجع السابق، ص 56
[41]تشالز (ورث) المرجع السابق ، ص57.
[42] Lactance ,7,8
[43] Baya (J.);Thouvenot(R.), Op.cit ,p.385).

[44] Luttwak(E.N) ,La grand stratégie de l'Empire romain ,Traduction française de B.et J.Pagès(,paris ,1987),pp.125-128 .

References :

بالأجنبية :

Aurélius (Victore), (1975),Un livre des Césares d'Aguste à Constance II,Ed.et trad. De P.Dufraigne ,CUF , les Belles Lettres,Paris,39,40-41
André (Piganiol),(1973),L'emper Chrétien(325-395),Presses Universitaires de France ,paris .
Asad (Rustom)(1925), the Romans in their politics, civilization, religion, culture, and their relations with the Arab,Vol.1, Beirut , vol. 1,
Baya (J.) ;Thouvenot(R.),(1925),Histoire romane ,publié sous la direction de CH.GUIGNBERT ,paris.
Camoron (Averil),(1993) ,The Later Roman Empire 284-430 ,A.D. , Fontana Press, London.
Carrié (J-M.),(1994), «Dioclétien et la fiscalité», Antiquité Tardive,2,Paris .
Charles (Worth),(1999), The Roman Empire, translated by Ramzi Abdo Gerges, revised by Muhammad Saqr Khafaga, the Egyptian General Authority, Egypt .
Chastagnol (A.),(1982),L'évolution politique, Sociale et économique du monde romain de Dioclétien à julien ,Paris.
Frank (R.I.), (1969),The Palace guards of later Roman Empire ,(papers and monographs of the American Academy in Rome ,Vol .23,Rome.
Lydus (jean), (1903),Les Magistrats de Rome ,3 Livre,Ed.de Wunch , Leipzig,teubner
Luttwak E.N(1987),La grand stratégie de l'Empire romain ,Traduction française de B.et J.Pagès paris .
petit Paul,(1974), Histoire Générale de l'empire romain ,Le Bas-Empire (284-395),T.3,éd. Du Seuil, paris .
Rémy(B.), Betrandy F. (1997), L'Empire romain de Pertinax à Constantin , (192 -337 après J.c) ,aspects politiques ,administratifs et religieux, 2ed ,paris
Remondon (R.) ,(1964),La crise de L'empire romain ,du marc Aurel,à Anastase ,éd . P.U.F.,paris..
Seston(W.),(1964) , Dioclétien et la tétrarchie ,(Guerres et réformes 284-300),t.I, éd. De Boccard , paris .
Stein (Ernest), (1960), Histoire de Bas-Empire ,T.1 ,Dem'ETA romain à l'Eta Byzantin 284-476,Revue des études byzantin, paris .

Zosime, (1971-1989),)Histoire nouvelle ,Ed. et trad. De Fr . Paschoud ,3 tomes en 5 vol. ,les Belles Lettres Paris .

بالعربية:

أسد (رستم)،(1955) ،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب،ج1، بيروت.

بينز (نورمان)،(1990)، الامبراطورية البيزنطية ،تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة .

تشارلز (ورث)،(1999) الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة محمد صقر خفاجة ، الهيئة المصرية العامة ،مصر .

مواس (نورة)،(2015)، السيفيريون وبلاد المغرب القديم (193- 235م) مجلة الدراسات التاريخية ، ، العدد 19، جامعة أبو القاسم سعد الله ،الجزائر 2،ديسمبر،

The Roman army, its role in overcoming the crisis of the century3rd century AD

د. نورة مواس
كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر - 2 -
أبو القاسم سعد الله

Abstract:

During the middle of the third century AD, the Roman Empire witnessed a severe crisis at various levels, which plunged it into complete chaos, especially the military, which prompted the emperors to take risks by introducing barbarians into the army, and accordingly the emergence of non-Roman elements in sensitive positions in which they proved their worth, what Finally, they were allowed to assume high positions in the military administration.

This research aims to try to shed light on the Roman army and its important role in protecting the borders of the empire from external dangers, and its effective role in averting the crisis of the third century AD, by addressing the structure of the new Roman army and the number of its forces, as well as the various military fortifications taken by the emperors To repel the raids of barbarian raiders.

Keywords: the army, the Romans, the number of troops, fortifications, border protection.